# الفصل الرابع عشر

## المصطفى ﷺ ضحوك في أسفاره

١- حفنة من الطعام تكفي جيشاً .

٢- ارفق بالقوارير .

obeikandl.com

# المصطفى ﷺ ضحوك في أسفاره

لم يكن رسول الله ﷺ بعيداً عن السفر ، وإنما كانت حياة رسول الله ﷺ جلها أسفار ، وقد كانت أسفار النبي ﷺ ـ كما ذكر ابن القيم ـ دائرة بين أربعة أسفار : سفره لهجرته ، وسفره للجهاد وهو أكثرها ، وسفره للعمرة ، وسفره للحج [1].

كما كانت له ﷺ أسفار غير هذه الأربعة ؛ وهي للتجارة وطلب الرزق ، وكان ذلك قبل البعثة .

وقد كان النبي ﷺ يحث أصحابه على السفر فقال : «سافروا تصحوا ، واغزوا تستغنوا»[2].

ولله در الشافعي حين قال :

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه ... وانصب فإن لذيذ العيش بالنصب

إني رأيت وقوف الماء يفسده ... إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب

والقارئ لسيرة النبي ﷺ يرى أنه أرسل من السرايا يقدر بـ (٣٨) سرية وبعثاً ، وقاد بنفسه (٢٧) غزوة[3]، وهذا يعني تكرار سفر النبي ﷺ .

ولما كان النبي ﷺ دائم الأسفار ، كثير الترحال ، فهو لا يقدم من غزوة إلا ويجهز لأخرى ، ولا يعود من سفرة حتى يتجهز لغيرها .

---

(١) انظر : زاد المعاد ، ابن القيم ، تحقيق شعيب الأرنؤط وعبد القادر الأرنؤوط ، ط مؤسسة الرسالة الثانية ، عام ١٩٩٧ م ، ٢/٤٤٤ .

(٢) رواه أحمد (٨٩٤٥) عن أبي هريرة وقال محققو المسند : إسناده ضعيف ، ورواه الطبراني في الأوسط (٨٣٠٨) وابن عدي في الكامل ، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٥٢) .

(٣) انظر : في ظلال السيرة النبوية ، د : محمد عبد القادر أبو فارس ، ص ١٢، ط دار الفرقان عمان ، الثالثة ١٩٨٨ م .

ولكثرة أسفاره كان ﷺ يتعرض لمواقف تُضحكه ، ويضحك أصحابه معه ، ومن هذه المواقف :

١- حفنة من الطعام تكفي جيشاً .

٢- ارفق بالقوارير .

## حفنة من الطعام تكفي جيشاً

عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري قال : حدثني أبي قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فأصاب الناس مخمصة[١] ؛ فاستأذن الناس رسول الله ﷺ في نحر[٢] بعض ظهورهم[٣] وقالوا : يبلغنا الله به ، فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قد همّ أن يأذن لهم في نحر بعض ظهرهم قال : يا رسول الله كيف بنا إذا نحن لقينا القوم غداً جياعاً رجالاً ؟ ولكن إن رأيت يا رسول الله أن تدعو لنا ببقايا أزوادهم[٤] فتجمعها ، ثم تدعو الله فيها بالبركة ، فإن الله تبارك وتعالى سيبلغنا بدعوتك ، أو قال : سيبارك لنا في دعوتك . فدعا النبي ﷺ ببقايا أزوادهم ، فجعل الناس يجيئون بالحثية[٥] من الطعام ، وفوق ذلك ، وكان أعلاهم من جاء بصاع من تمر ، فجمعها رسول الله ﷺ ، ثم قام فدعا ما شاء الله أن يدعو ، ثم دعا الجيش بأوعيتهم ، فأمرهم أن يحتثوا ، فما بقي في الجيش وعاء إلا ملئوه وبقي مثله ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه فقال : «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله عبد مؤمن بهما ؛ إلا حجبت عنه النار يوم القيامة»[٦].

---

(١) مجاعة شديدة .

(٢) ذبح .

(٣) الظهر : ما يركب من الدواب .

(٤) طعام السفر .

(٥) ما يملأ الكفين .

(٦) رواه أحمد في المسند (١٥٤٤٩) وقال محققو المسند : إسناده قوي ، ورواه النسائي في الكبرى (٨٧٩٣) والطبراني في الكبير (٥٧٥) .

تعددت الروايات في تكثير الطعام ، ومن هذه الروايات :

## ١- أنهم (٤٠) رجلاً :

ففي رواية عند البخاري عن أنس أن أم سليم أمه ، عمدت إلى مد من شعير جشته ، وجعلت منه خطيفة ، وعصرت عكة[١] عندها ، ثم بعثتني إلى النبي ﷺ فأتيته وهو في أصحابه فدعوته ، قال : « ومن معي » . فجئت فقلت : إنه يقول : ومن معي ؟ فخرج إليه أبو طلحة ، قال : يا رسول الله ، إنما هو شيء صنعته أم سليم ، فدخل فجيء به ، وقال :« أدخل علي عشر » فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا ، ثم قال : « أدخل علي عشرة » فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا ، ثم قال : « أدخل علي عشرة » حتى عد أربعين ، ثم أكل النبي ﷺ ، ثم قام ، فجعلت أنظر ، هل نقص منها شيء ؟ ! .[٢]

## ٢- أنهم (٧٠) أو (٨٠) رجلاً :

وعند البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم ، فأخرجت أقراصاً من شعير ، ثم أخرجت خماراً لها ، فلفت الخبز ببعضه ، ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه[٣] ، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ ، قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : « آرسلك أبو طلحة ؟» فقلت : نعم ، قال : « بطعام ؟» فقلت : نعم ، فقال رسول الله ﷺ لمن معه : « قوموا » ، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم! فقالت : الله ورسوله أعلم . فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) إناء من جلد يحفظ فيه السمن .

(٢) رواه البخاري في الأطعمة ( ٥٤٥٠ ) عن أنس .

(٣) لفتني به .

« هلمي يا أم سليم ما عندك ؟» فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ففت ، وعصرت أم سليم عكة فأدمته[1]، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : «ائذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ثم قال : «ائذن لعشرة» ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : «ائذن لعشرة» ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال : «ائذن لعشرة» ، فأكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا»[2].

### ٣- أنهم (١٣٠) رجلاً :

وفي الصحيح أيضا أن العدد مائة وثلاثين ، فعن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ قال : كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة فقال النبي ﷺ : « هل مع أحد منكم طعام ؟» فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه ، فعجن ثم جاء رجل مشرك مشعان[3] طويل بغنم يسوقها ، فقال النبي ﷺ :« بيعاً أم عطية ـ أو قال ـ : «أم هبة ؟» قال : لا بل بيع . فاشترى منه شاة فصنعت ، وأمر النبي ﷺ بسواد البطن أن يشوى ؛ وايم الله ما في الثلاثين والمائة إلا قد حز النبي ﷺ له حزة[4] من سواد بطنها ؛ إن كان شاهداً أعطاها إياه ، وإن كان غائبا خبأ له ، فجعل منها قصعتين ، فأكلوا أجمعون وشبعنا ، ففضلت القصعتان فحملناه على البعير »[5].

### ٤- أنهم عدد كبير :

روى البخاري عن سلمة ﷺ قال : خفّت أزواد القوم وأملقوا ، فأتوا النبي ﷺ في نحر إبلهم ، فأذن لهم ، فلقيهم عمر فأخبروه فقال : ما بقاؤكم بعد إبلكم ، فدخل على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما بقاؤهم بعد إبلهم؟ فقال رسول الله ﷺ : «ناد في الناس فيأتون بفضل أزوادهم» ؛ فَبسُط لذلك نطع ، وجعلوه على النطع ،

---

(١) ما يؤكل مع الخبز من الطعام .

(٢) رواه البخاري في الأيمان والنذور(٦٦٨٨) ومسلم في الأشربة (٢٠٤٠) .

(٣) منتفش الشعر .

(٤) قطع له قطعة .

(٥) رواه البخاري في الهبة (٢٦١٨) ومسلم في الأشربة (٢٠٥٦) .

فقام رسول الله ﷺ فدعا وبرّك عليه ، ثم دعاهم بأوعيتهم ، فاحتثى الناس حتى فرغوا ، ثم قال رسول الله ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله »[١]. وفي هذه المرة كان العدد كبيراً .

**٥- أنهم (١٠٠٠) ألف رجل :**

وفي قصة جابر يوم الخندق أنهم كانوا ألفاً : فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصاً[٢] شديداً فانكفأت[٣] إلى امرأتي فقلت : هل عندك شيء ؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً ، فأخرجت إليّ جرابا[٤] فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة[٥] داجن[٦] فذبحتها ، وطحنت الشعير ، ففرغت إلى فراغي ، وقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت : لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه ، فجئته فسررته فقلت : يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك ، فصاح النبي ﷺ فقال : « يا أهل الخندق ؛ إن جابراً قد صنع سوراً[٧]، فحي هلا بكم ، فقال رسول الله ﷺ : لا تنزلن برمتكم[٨]، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء . فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس ، حتى جئت امرأتي ، فقالت : بك وبك . فقلت قد فعلت الذي قلت ، فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ؛ ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ، ثم قال : ادع خابزة فلتخبز معي ، واقدحي[٩] مِن برمتكم ولا تنزلوها ؛ وهم ألف ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط[١٠] كما هي ، وإن عجيننا ليخبز كما هو[١١] .

---

(١) رواه البخاري في الجهاد (٢٩٨٢) .
(٢) الخمص : الجوع .
(٣) رجعت .
(٤) إناء من جلد يوضع فيه زاد .
(٥) ولد الضأن .
(٦) الحيوانات التي تربى في البيوت .
(٧) الطعام الذي يدعى إليه .
(٨) قدْر يصنع من الحجارة أو النحاس .
(٩) اغرفي .
(١٠) تفور .
(١١) رواه البخاري في المغازي (٤١٠٢) ومسلم في الأشربة (٢٠٣٩) .

هذا الحديث ـ وما ذكرناه من روايات تكثير الطعام ـ معجزة من معجـزات النبي ﷺ الحسية . ومعجزات رسول الله ﷺ نوعان :

١- معنوية .

٢- حسية .

أما المعنوية فالقرآن ، وهو المعجزة الخالدة الباقية .

وأما المعجزات الحسية ؛ فما أكثرها ، فمنها : نطق الجماد والحيوان والشجر ، ومنها : انشقاق القمر ، ورؤية من خَلْفَه في الصلاة ، ومنها نبع الماء من بين أصابعه ، وتكثير الماء وكذلك تكثير الطعام وزيادته ببركة دعائه كما هو الحال في حديثنا هذا .

ينظر المرء إلى هذا الحديث فيرى فيه رسول الله ﷺ وقد أصابته الفاقة ، ولحقت به المخمصة كما تلحق بغيره ، وليس معنى كونه رسولاً أن يجمع العيش الهانـئ أو الحياة الهادئة الرغيدة ، لا ، إنما كان يتعب ويكد ، ويلقى من الجوع والجهـد ما يلاقي العظماء من الأنبياء ، بل كان ﷺ أشد مما لاقى غيره من عظماء الأنبياء .

وها نحن نرى بأم أعيننا رسول الله ﷺ يسمع شكوى أصحابه ، وينصت إلى آرائهم ، ويدلي عليهم بما يراه مناسباً لحالهم ووضعهم ، ولكنه ﷺ لم يكن جباراً متسلطاً ، ولهذا سمع رأي عمر ونزل عليه ، ولولا أن أصحابه علموا منه الإنصات إليهم ، والأخذ بآرائهم ، والنزول على مشورتهم ، ما نطق عمر بما أشار به .

**بعض ما يستفاد من الحديث :**

١- رجاحة عقل عمر وتبصره بعواقب الأمور .

٢- ثقته ـ وكل الصحابة ـ في دعاء النبي ﷺ وقبوله .

٣- تأييد الله لرسوله ﷺ .

٤- عظم ثواب كلمة التوحيد ، فإن من قالها دخل الجنة .

٥- كما أن فيه احترام النبي ﷺ لآراء أصحابه إن وجد فيها المصلحة والمنفعة ، ولم يكن ﷺ متسلطاً على أصحابه ، بل يسمع لهم ويأخذ بأقوالهم في أمور دنياهم ما لم يكن ثم نص .

# ارفق بالقوارير

عن أنس بن مالك ﷺ يقول : بينما رسول الله ﷺ يسير وحاد يحدو بنسائه ، فضحك رسول الله ﷺ فإذا هو قد تنحى بهن ، قال : فقال : « يا أنجشة ويحك ؛ ارفق[1] بالقوارير[2] ».[3]

هذا الحديث رواه البخاري ومسلم ؛ ولم يذكر لفظ الضحك ونصحه : « رويدك يا أنجشة ، لا تكسر القوارير »[4].

لم ير العالم بعينيه شخصاً رفع من شأن المرأة وحافظ عليها كما فعل محمد ﷺ ، وهذا الحديث الذي معنا يعطي دلالة واضحة على ما نقول . ومن المعروف أنه كان للنبي ﷺ حداة ، فمنهم أنجشة ، وهو عبد حبشي أسود ، وكان يحدو بالنساء ، ومنهم البراء بن مالك وكان يحدو بالرجال .

والحُداء : هو سوق الإبل والغناء لها ، والإبل إذا سمعت الحُداء أسرعت في المشي ، وأزعجت الراكب وأتعبته .

## لماذا شبّه النبي ﷺ النساء بالقوارير ؟

وفي تشبيه النبي ﷺ النساء بالقوارير أقوال ، قال الحافظ : قال الرامهرمزي : كنى عن النساء بالقوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة ، والنساء يشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية .

---

(١) أي سقهن كسوقك القوارير لو كانت محمولة على الإبل .

(٢) يعني ضعفه النساء والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجة سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها .

(٣) رواه أحمد في المسند ( ١٢٧٦١ ) وقال محققو المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة ( ٥٢٨ ) .

(٤) رواه البخاري في الأدب (٦٢١١) ومسلم في الفضائل (٢٣٢٣) عن أنس .

وقال غيره : شبههن بالقوارير لسرعة انقلابهن عن الرضا ، وقلة دوامهن على الوفاء ، كالقوارير يسرع إليها الكسر ولا تقبل الجبر [1].

ولعل الأول أقرب ، ويتماشي مع الحديث .

## لماذا نهى النبي ﷺ أنجشة عن الحدو ؟

والسبب في نهي النبي ﷺ أنجشة عن الحدو ، قال الخطابي : كان أنجشة أسود وكان في سوقه عنف ، فأمره أن يرفق بالمطايا . وبذلك جزم ابن بطال فقال : القوارير كناية عن النساء اللاتي كن على الإبل التي تساق حينئذ ؛ فأمر الحادي بالرفق في الحداء لأنه يحث الإبل حتى تسرع ، فإذا أسرعت لم يؤمن على النساء السقوط ، وإذا مشت رويدا أمن على النساء السقوط ، قال : وهذا من الاستعارة البديعة لأن القوارير أسرع شيء تكسيراً ؛ فأفادت الكناية من الحض على الرفق بالنساء في السير ما لم تفده الحقيقة لو قال : ارفق بالنساء [2].

وقيل : كان حسن الصوت بالحداء فكره أن تسمع النساء الحداء ، فإن حسن الصوت يحرك من النفوس ، فشبّه ضعف عزائمهن وسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في سرعة الكسر إليها ، وبذلك جزم أبو عبيد الهروي وقال : شبّه النساء بالقوارير لضعف عزائمهن ، والقوارير يسرع إليها الكسر ، فخشى من سماعهن النشيد الذي يحدو به أن يقع بقلوبهن منه فأمره بالكف ، فشبه عزائمهن بسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في إسراع الكسر إليها . ورجح عياض هذا الثاني .

قال الحافظ في الفتح : والراجح عند البخاري الثاني ؛ ولذلك أدخل هذا الحديث في باب المعاريض ، ولو أريد المعنى الأول لم يكن في لفظ القوارير تعريض [3].

---

(١) انظر : فتح الباري ، ١٠/٥٤٥ .

(٢) انظر : فتح الباري ، ١٠/٥٤٥ .

(٣) انظر : السابق .

وجوّز القرطبي في المفهم الأمرين ، فقال : شبههن بالقوارير لسرعة تأثرهن وعدم تجلدهن ، فخاف عليهن من حث السير بسرعة السقوط ، أو التألم من كثرة الحركة والاضطراب الناشئ عن السرعة ، أو خاف عليهن الفتنة من سماع النشيد[1].

**بعض ما يستفاد من الحديث :**

١- اهتمام النبي ﷺ بالنساء وحرصه عليهن .

٢- مشروعية الترفيه في السفر وما شابهه .

٣- استخدام النبي ﷺ طاقات أصحابه كل فيما يصلح له ، فمن حسن صوته فللحداء مثلا ، ومن مهرت خططه فللحرب . . . وهكذا .

---

(١) انظر : فتح الباري ، ١٠/٥٤٥ .



obeikandl.com